مراحل سقوط مدينة المرية Almaria الأندلسية

(٥٤٢- ٨٩٥هـ/١١٤٧- ١٤٨٩م)

الأستاذ الدكتور
حسين جبار العلياوي
جامعة البصرة ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية
hussain.mechateel@uobasrah.edu.iq

The Stages of the Fall of the Andalusian City of Almeria (542-895 AH/1147-1489 AD)

Prof. Dr.
Hussein Jabbar Al-Aliawi
University of Basra, College of Education for Humanities

الملخص:-

كان لموقع مدينة المرية الدور الكبير في فتح المسلمين لها كونها تسيطر على خطوط التجارة الدولية لأنها مدينة ساحلية، إذ تقع على البحر المتوسط، وقد لعب ذلك دوراً محورياً في فتحها أواخر سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م)، واستمرت بحوزتهم حتى سنة(٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، إذ تمكن النصارى من السيطرة عليها وانتزاعها من المسلمين وكان هذا السقوط الأول لها، إلا إنها لم تستمر طويلاً، إذ استطاع الأخيرين من إعادتها إلى الحكم الإسلامي سنة(٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) واستمرت بحوزتهم حتى سنة(٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) حتى استولى عليها النصارى في السنة المذكورة، وكان هذا هو السقوط الثاني والنهائي لها.

وقد تناول البحث مراحل سقوط مدينة المرية، وتطلبت مادته تقسيمه على ثلاثة مباحث، سلطنا في المبحث الأول الضوء على الجغرافية التاريخية لمدينة المرية حتى سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) وتضمن الموقع والفتح الإسلامي ولمحة تاريخية حتى قيام دولة المرابطين في الأندلس سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) لما لذلك من أهمية في معرفة تطورات الأحداث التالية، أما المبحث الثاني فتناول سقوط المدينة الأول سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) بيد النصارى على أثر حملة صليبية كبيرة ثم استرجاعها من قبل الموحدين، بينما تناول المبحث الثالث سقوط المدينة الثاني والنهائي بيد النصارى سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) في عهد دولة بني الأحمر.

الكلمات المفتاحية: المرية، المرابطين، النصارى، الأندلس.

Abstract:-

The location of the city of Almeria played a major role in the Muslims' conquest, as it controlled international trade routes because it is a coastal city, as it is located on the Mediterranean Sea. This played a pivotal role in its conquest in late 92 AH / 710 AD, and it remained in their possession until 542 AH / 1147 AD, as the Christians were able to control it and seize it from the Muslims. This was its first fall, but it did not last long, as the latter were able to return it to Islamic rule in 552 AH / 1157 AD, and it remained in their possession until 895 AH / 1489 AD, until the Christians seized it in the aforementioned year. This was its second and final fall.

The research dealt with the stages of the fall of the city of Almería, and its material required dividing it into three sections. In the first section, we shed light on the historical geography of the city of Almería until the year 484 AH / 1091 AD. It included the location, the Islamic conquest, and a historical overview until the establishment of the Almoravid state.

in Andalusia in the year 484 AH / 1091 AD, due to its importance in understanding the developments of subsequent events. The second section dealt with the first fall of the city in the year 542 AH / 1147 AD at the hands of the Christians as a result of a large crusade, followed by its recovery by the Almohads. The third section dealt with the second and final fall of the city at the hands of the Christians in the year 895 AH / 1489 AD during the era of the Banu al-Ahmar state.

Key words: Almería, Almoravids, Christians, Andalusia.

المقدمة:

تقع مدينة المرية على ساحل البحر المتوسط، وكانت تعد من مناطق كورة البيرة، فتحها المسلمين سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، وأصبحت فيما بعد قاعدة للأسطول الأندلسي في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد إن أمر ببناءها سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م.

ولما بدأ ميزان القوى يتحول تدريجياً لصالح الدويلات النصرانية في الأندلس في أعقاب سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين أخذت القوى النصرانية تفكر جدياً في انتزاع هذه المدينة من أيدي المسلمين لما تشكله من مصدر قلق لهم، فكانت سلسلة هجمات وحروب خاضها النصارى ضد المسلمين في هذه المدينة امتدت من سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م حتى سقوطها النهائي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م وهذه المدة هي محور هذا البحث حيث شهد سقوطها عدة مراحل.

وقد تطلبت مادة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، تناول الأول الجغرافية التاريخية لمدينة المرية حتى سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، أما المبحث الثاني سقوط المدينة الأول سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م بيد النصارى بحملة صليبية كبيرة، في حين تناول المبحث الثالث سقوط المدينة الثاني والنهائي بيد النصارى سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م في عهد دولة بني الأحمر.

المبحث الأول

الجغرافية التاريخية لمدينة المرية حتى سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م

وهي مدينة محدثة في الإسلام وكانت قبلها بجانة وهي الأخرى محدثة، والمنطقة جميعها كانت من توابع كورة البيرة[١]، قال ابن حوقل عند حديثه عن الأندلس: (وجميع مدنها قديمة أزليّة لم يحدث بها في الإسلام غير مدينة بجانة وهى المريّة وهى على حدود رستاق لبيرة)[٢]، وعد البكري المرية أحد مدن إقليم بجانة[٣]، والأخيرة قريبة من الساحل نزلها البحريون الأندلسيون من أهل اليمن وابتنوا فيها الحصون والدور والمنازل وعمرت أحسن عمارة وذلك سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[٤]، كما ابتنوا فيها قوة بحرية أخذت على عاتقها حماية السواحل كما ازدهرت فيها الحركة التجارية[٥]، إلا أنها شملتها الاضطرابات التي حدثت في عهد الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) وتأثرت بثورات العرب في البيرة[٦]،

حتى استنزلها هبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ/٩١٢-٩٦١ م) سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م[٧]، ثم أخذت بجانة تفقد أهميتها بالتدريج أمام فرضة المرية المقابلة لبجانة حتى أمر الخليفة الناصر ببنائها سنة ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م واتخذها قادة بحرية للأسطول الأندلسي[٨]، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: (ومدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المرية فانتقل أهلها إلى المرية فعمرت وخربت بجانة فلم يبق منها الآن إلا آثار بنيانها ومسجد جامعها قائم بذاته)[٩]، وكان خرابها كما قال الرشاطي: (.. حتى كانت فتنة البربر فانتقل أهل بجانة عنها إلى المرية سنة اثنتين وأربعمائة)[١٠].

أما المسافات بينها وبين المدن الأندلسية القريبة منها، فبين المرية وبجانة أربعة أميال[١١]، وبينها وبين بلنسية تسع مراحل[١٢]، وبينها وبين مرسية خمس مراحل[١٣]، وبينها وبين مالقة على البحر مائة وثمانون ميلاً[١٤]، وبينها وبين المنكب على البحر مائة ميل[١٥]، وبينها وبين قرطبة مسرة ثمانية أيام[١٦]، وبينها وبين غرناطة مائة ميل[١٧].

ولما كانت المرية تعد من مناطق البيرة فإن فتح منطقتها كان مع فتح كورة البيرة، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيينViaigoths لوذريق في معركة وادي لكة Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢هـ/٧١٠م اتجه إلى مدينة إستجة التي تجمع فيها قسم من الجيش القوطي، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف مباشرة إلى طليطلة Tolodoعاصمة القوط الغربيين، وقبل أن يشرع أرسل فرقاً من جيشه لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط وهي: قرطبة والبيرة ومالقة Malaga وتدميرTudmir[١٨]، أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحوا غرناطةGranada ثم مضوا إلى تدمير[١٩]، ويمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠ م، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقري: (كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوّال بعد تتمة ثمانية أيام،...)[٢٠]، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها[٢١]، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٩٣هـ/٧١١م[٢٢]، فهذا يعني أن دخول البيرة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذي الحجة من سنة ٩٢هـ/٧١٠م .

ظلت مدينة المرية طوال عهد الإمارة والخلافة تتبع الحكومة المركزية في قرطبة حتى

سقوط الدولة العامرية وبدأ عهد الفتنة وما أعقبها من سقوط الخلافة الأموية وظهور ما يسمى بعصر دويلات الطوائف كانت المرية تحت نفوذ الفتية العامريين أولهم فيها خيران العامري (٤٠٥-٤١٨ هـ /١٠١٤-١٠٢٧ م) ثم زهير العامري (٤١٩-٤٢٩ هـ/ ١٠٢٨-١٠٣٧م)[٢٣]، ثم سيطر عليها بنو صمادح التجيبيون سنة ٤٣٣ هـ/١٠٤١ م واستمرت تحت حكمهم حتى الفتح المرابطي لها سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١م[٢٤].

المبحث الثاني

السقوط الأول سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م

وفي العهد المرابطي بلغت مدينة المرية ذروة مجدها، فقد وصفها الإدريسي بالقول: (ومدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الإسلام وكان بها من كل الصناعات كل غريبة وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ثماني مائة طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والخمر والعتابي والمعاجر وصنوف أنواع الحرير وكانت المرية قبل الآن يصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد إلى سائر الصناعات ما لا يحد ولا يكيف وكان بها من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص)[٢٥].

إلا أنه في نهاية المرابطين وبداية الموحدين وبسبب اضطراب أمر الأندلس وكثرة الثوار في أرجائها[٢٦] كان في المرية أبو يحيى الرميمي[٢٧]، فاستغل الملك القشتالي الفونسو السابع (٥٢٠-٥٥٢ هـ/١١٢٦-١١٥٧ م) الملقب عند المسلمين بالسليطين، تلك الأوضاع ودعا إلى حملة صليبية كبيرة انضمت إليها قوات من فرنسا وإيطاليا فضلاً عن ملوك أسبانيا من أجل الاستيلاء على مدينة المرية، وكان اختيارهم لها كونها معقل الأسطول الإسلامي الذي ينطلق منه البحارة المسلمون للإغارة على شواطئ برشلونة وفرنسا وإيطاليا[٢٨]، وهيئوا لذلك قوات برية وبحرية وحددوا موعد الهجوم في أوغسطس سنة ١١٤٧م الموافق ربيع الأول ٥٤٢هـ/١١٤٧م[٢٩].

وكانت الرواية الإسلامية مقتضبة، فذكر ابن غالب (ملتكها النصارى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ومكثت فيها عشرة أعوام ثم استرجعها عثمان بن عبد المؤمن سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)[٣٠]، وقال ابن الأثير: (في هذه السنة، في جمادي الأولى، حصر الفرنج المرية من الأندلس، وضيقوا عليها براً وبحراً، فملكوها عنوة، وأكثروا القتل بها

والنهب، وملكوا أيضاً مدينة بياسة وولاية جيان، وكلها من الأندلس)[٣١]، فيما جعل ابن أبي زرع دخول النصارى المرية سنة ٥٤٠ هـ/١١٤٥ م بقوله: (وفيها نازل العدو المرية بثمانين جفناً، فأحرق أرياضها وانصرف عنها)[٣٢].

أما الرواية النصرانية، فلا تختلف كثيراً في مضمونها عن الرواية العربية لكنها أكثر تفصيلاً، إذ أشارت إلى أن حصار المرية بدأ في أوغسطس، حيث التقى أمامها أسطول الجنويين والبيزيين بالكونت ريموند صاحب برشلونة، وجيوم صاحب مونبلييه، واستمر حتى ١٧ أوكتوبر سنة ١١٤٧ م، ثم أخذت المدينة عنوة، وقتلت حاميتها بعد دفاع شديد، واستولى الظافرون على غنائم عظيمة مما جمع الفرسان في المدينة، وكان أثمن ما حصل عليه الجنويون قطعة من الزجاج الأخضر، قيل إنها من الزمرد ولم تكن كذلك، وبعد أن قسمت الغنائم على الجند، وحصل الجنويون والبيزيون على أوفر نصيب، وحصل الكونت ريموند على جميع الأسرى، دخل القيصر المرية في قوة كبيرة، وعند اقتراب الشتاء عاد كل فريق إلى بلاده) [٣٣]، وكان هذا السقوط الأول لمدينة المرية على أيدي النصارى.

بقيت مدينة المرية تحت سيطرة النصارى عشر سنوات كان الموحدون شغلوا خلالها بمقارعة الثوار في الأندلس، فلما تمكنوا من فتح غرناطة في سنة ٥٥١ هـ/١١٥٦ م [٣٤] كان الطريق مفتوحاً أمامهم إلى المرية، فضلاً عن أن وجود النصارى في المرية يقف عائقاً كبيراً إمام تقدمهم إلى الشرق الأندلسي ويعيق حركة أسطولهم هناك لهذا كان طرد النصارى منها من أهم أهدافهم، ففي رسالة للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) من إنشاء كاتبه أبي عقيل بن عطية[٣٥]، أشار فيها إلى أهمية المرية وضرورة استرجاعها من أيدي النصارى وما تم لهم من فتحها، إذ قال: (...، رأينا أن أمر المرية - حرسها الله - من أهم الأمور، وآكدها في هذا الغرض المبرور، والأمل الميسور، لكونها ناظمة بين الجهات الشرقية والغربية، ورابطة بين البلاد البرية والبحرية، واتفق عند ذلك نفوذ الطلبة الذين بغرناطة - أعزهم الله - إلى جهاتهم وانصرافهم، لحماية أكنافهم وأطرافهم، فلما وصلوا إليها، وردوا عليها، فلم يلقوا عصا التسيار، ولم تتركهم دواعي البساط والانبساط للمكث والاستقرار، وعند ما انتظموا على هذا القصد والتأموا، وركبوا الخيل للجهاد واستلاموا، ساروا على بركة الله واليمن يقدمهم، والسعد يخدمهم، والعناية

تصحبهم وتلزمهم، ووافوا المرية - حرسها الله - وقد انتشر من كان بها من الكفرة على تلك الربى والاباطح، واختلط المرعي بالمهمل في تلك المراحات والمسارح، فابتدرهم جنود الله بطعنهم مخلوجة وسلكى، وتريق دمهم الهدر سفحاً وسفكاً، وحازوا هنالك من النفل الكريم، والخير العميم، ما ملأ عيونهم قرة، ونفوسهم مسرة، واقتحموا على بقية الكافرين أبواب المرية - حرسها الله - فانتجز لهم الوعد الموعود، وتيسر لهم الفتح المعهود، وتساقت دماء أساود الكفرة تلك الأسود، واستولوا عليها استيلاء من عضدته السعود... ولم يبق للمشركين في تلك الطحمة الهاجمة، والنقمة الداهمة، إلا من انحصر في القصبة، فراراً من الغلبة، وحذاراً من تلك الصوارم المرهفة واللهاذم المذربة، وأقام الموحدون - أعزهم الله - بظاهر المطل، وشرفها المقل، مسرورين برفعة الحال والمحل، مستبشرين بانتشار ذلك النظم المنحل، ولما اتصل بابن مردنيش ما هاله من هذا النبأ المفلق رأى أن ينهض بجملته البائسة على نية الغياث، ومبادرة خيله قبل الانتقاص والانتكاث، وأن يتطاول الاستنصار بالاستنسار تطاول البغاث، فاستصرخ بالسليطين استصراخ الملهوف، تقوية لأمره المضعوف، ورجاء في استنقاذه من الحتوف، ولما حس بندائه، ورأى ما أخذوا عليه من دائه، وبادروا إليه من غذائه، بادر بنفسه، واعتقد نصرته في كفالة بأسه، وتضافرت جموعهم البائدة، وجنودهم الحائدة، على المرية - حرسها الله - في أحفل عدد، وأوفر مدد، فلم يزد الموحدين ذلك إلا شهامة وصرامة، ولا تعرفوا بنزول الكفرة إلا عدة وكرامة، واستمروا على حصر القصبة المذكورة والكافرون يرون إخوانهم في قبضة الأسرة، وحالة العسرة، فيخترقون فناء الحسرة، ويشرقون بعد العبرة والزفرة،...، فولوا على الأدبار وهلاً ووجلاً، وتنافست أقدامهم في الفرار سرعة وعجلاً،...، كتب في العشر الأول من شعبان المكرم سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة)[٣٦].

وكان من أهم نتائج تلك الحروب التي شهدتها المرية هي الخراب والدمار الذي لحق بها، فقد أشار المقري إلى ذلك قائلاً: (ودخل الموحدون المدينة، وقد خربت وضعفت)[٣٧]، كما أشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: (والمرية في هذا الوقت الذي ألفنا كتابنا هذا فيه صارت ملكا بأيدي الروم وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها وخربوا ديارها وهدموا مشيد بنيانها ولم يبقوا على شيء منها)[٣٨]، وأشار سالم إلى أن المرية لم تعد بعد أن استردها الموحدون كما

هو عليه الحال أيام المرابطين إذ أخذت في الذبول ولم تعد تلعب دور الطليعة في مدن الأندلس حتى سقوطها النهائي بيد الملك القشتالي فرناندو الكاثوليكي[٣٩].

وفي نهاية عهد الموحدين لم يعد في مقدورهم حماية المدن والثغور الأندلسية من هجمات النصارى[٤٠] فضلاً عن قيام العديد من الثورات في الأندلس عليهم وكان من أهمها تلك التي قام بها محمد بن يوسف بن هود الذي ثار على الموحدين سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق وحاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي[٤١]، وقد قام بدعوته في مدينة المرية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي يحيى الرميمي حفيد واليها السابق سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م [٤٢]، إلا أن ابن هود دخل في صراع مع ثائر آخر وهو محمد بن يوسف بن الأحمر صاحب حصن أرجونة ونافس ابن هود في السيطرة على العديد من المدن الأندلسية ثم جاء مقتل ابن هود سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م[٤٣] أن مهد السبيل لابن الأحمر أن يسيطر على معظم القسم الجنوبي من الأندلس، إذ قام بعد مقتل ابن هود بالسيطرة على المرية في السنة نفسها كما قال ابن عذاري[٤٤]، فيما ذهب ابن خلدون إلى أن ابن الأحمر ملك المرية من ابن الرميمي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م[٤٥] وبذلك أصبحت المرية ضمن أملاك إمارة بني الأحمر في غرناطة (وبقيت في يد أولاده بعده إلى أن أخذها العدو الكافر عندما طوي بساط بلاد الأندلس)[٤٦].

المبحث الثالث

السقوط الثاني سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م

وفي ظل بني الأحمر غدت المرية واحدة من أهم ولايات إمارة بني الأحمر إلى جانب غرناطة ومالقة [٤٧]، ومن أهم الأحداث التي شهدتها المرية في ظل بني الأحمر هي مهاجمة النصارى لها سنة ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م إلا أن قوات بني الأحمر بمساعدة قوات بني مرين تمكنوا من هزيمتهم[٤٨]، وكانت المرية تشكل آنذاك واحدة من ثلاث منافذ بحرية مهمة لدولة بني الأحمر إلى جانب مالقة والمنكب، ولكن بسقوط مالقة بيد النصارى سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م[٤٩]، والمنكب سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م[٥٠]، أن غدت المرية المنفذ الوحيد الذي يصل غرناطة ببر العدوة المغربية حيث الإمدادات إليها، لذا قرر ملكي قشتالة فرناندو

وإيزابيلا (٨٨٤-٩٢٢ هـ/١٤٧٩-١٥١٦ م) الاستيلاء عليها، وكانت إمارة غرناطة آنذاك تمر بمرحلة عصيبة بسبب الانقسام الحاد والمنافسة بين أبناء بني الأحمر، فكانت غرناطة من نصيب الأمير أبي عبد الله الصغير وكانت المرية وبسطة ووادي آش من نصيب عمه أبي عبد الله الزغل[٥١]، وفي سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م تمكن النصارى من الاستيلاء على مدينة بسطة[٥٢].

كان من أولى نتائج سقوط مدينة بسطة بيد القوات الصليبية بقيادة ملكي قشتالة أن ساد حالة من الذعر في معظم المناطق التي كانت في حوزة المسلمين من الأندلس ولاسيما مناطق شرق غرناطة، فسارعت معظم المدن والحصون القريبة من بسطة إلى التسليم والدخول في طاعة ملك النصارى[٥٣]، ولم تختلف عن ذلك الرواية النصرانية، فقد أشار إيرفنغ إلى أنه بعد سقوط بازا (بسطة) استسلمت معظم الحصون والجبال القريبة بشكل سريع إذ (كان الناس يأملون بالحصول على شروط جيدة شبيهة بالتي أعطيت لهذه المدينة، كما أمل أسياد هذه المناطق بجوائز مشابهة للتي حصل عليها قادتهم، ولم يخب أمل أيّ منهم، فقد سمح ببقاء السكان كخول للنصارى ليبقوا في أملاكهم وعلى دينهم، أما أسيادهم الذين راحوا يتوافدون على المعسكر لإعلان ولائهم، فكان فرناندو يستقبلهم بشكل متميز، ويحملهم الهدايا والأموال حسب أهمية المكان الذي كان تحت قيادتهم وسلموه، وكان الملك حريصاً على عدم التعرض لكرامتهم أو جرح كبريائهم، لذلك كانت الأموال تدفع لهم جزاء خدماتهم للحكومة السابقة، وهكذا بعد أن كان فرناندو يفتح البلاد بالسيف، وجد بعد بازا أن الذهب يكلفه أقل)[٥٤].

وهكذا كان من النتائج المباشرة لسقوط بسطة هو استيلاء النصارى على مدينة المرية وذلك في ربيع سنة ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م، إذ أن أبا عبد الله الزغل الذي استسلم للنصارى كانت المرية ضمن أملاكه، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول معاصر للأحداث بقوله: (ثمَّ خرج الْأَمِير مُحَمَّد بن سعد من مَدِينَة وَادي آش تَابعاً لصَاحب قشتالة فَلَمَّا لحقه بَايعه وَدخل فِي ذمته وَتَحْت طَاعَته على أَن يُعْطِيه مَدِينَة وَادي آش وكل مَدِينَة وحصن وقرية كَانَت تَحت طَاعَته وَحكمه، فَأَجَابَهُ إِلَى مطلبه وَرجع مَعَه إِلَى وَادي آش وَهُوَ فَرح مسرور فَدَخلَهَا الْعَدو وَقبض قصبتها وَاسْتولى عَلَيْهَا فِي الْعشْر الأول من شهر صفر عَام خَمْسَة وَتِسْعين وثمان مئة وَدخل فِي ذمَّته جَمِيع فرسَان الْأَمِير مُحَمَّد بن سعد وَجَمِيع قواده

وصاروا لَهُ عوناً على الْمُسلمين وطوعوا لَهُ جَمِيع الْبِلَاد والقرى والحصون الَّتِي كَانَت تَحت طاعتهم من مَدِينَة المرية إِلَى مَدِينَة الْمنْكب وَمن مَدِينَة الْمنْكب إِلَى قَرْيَة البذول فَقبض صَاحب قشتالة ذَلِك كُله من غير قتال ولا حصار وَلَا تَعب وَلَا نصب فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَجعل فِي كل قَصَبَة قائدا نَصْرَانِيّا مَعَ جمَاعَة من النَّصَارَى يحكم فِي ذَلِك الْموضع، وَفِي هَذَا الشَّهْر خلصت جميع بِلَاد الأندلس لصَاحب قشتالة وَدخلت تَحت طَاعَته وتدجن جَمِيع أَهلهَا وَلم يبْق للْمُسلمين فِي الأندلس غير مَدِينَة غرناطة وَمَا حولهَا من الْقرى خَاصَّة)[٥٥].

وكانت شروط تسليم المرية قريبة من تلك التي منحوها لمدينة بسطة وخلاصتها: (أن يحتفظ المسلمون بدينهم وشريعتهم وأموالهم، وأن تخفف عنهم أعباء الضرائب، وألاّ يولى عليهم يهودي، وألاّ يدخل نصراني في الجماعة، وأن يختار الأولاد الذين يولدون من أمهات من النصارى لأنفسهم، الدين الذي يريدون عند البلوغ)[٥٦]، وهكذا سقطت المرية بيد النصارى بعد أن حكمها المسلمون مدة ٨٠٣ سنة.

الخاتمة:

من خلال البحث نرى ان موقع مدينة المرية كان له الدور الكبير في فتح المسلمين لها كونها تسيطر على خطوط التجارة الدولية في البحر المتوسط، وقد لعب ذلك العامل دوراً محورياً في الصراع الإسلامي النصراني في السيطرة عليها، فعندما فتحها المسلمين سنة ٩٢هـ/٧١٠م، استمرت بحوزتهم حتى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، عندما تمكن النصارى من الاستيلاء عليها بحملة صليبية كبيرة في السنة نفسها.

إلا إن الموحدين تمكنوا من استرجاعها بعد عشر سنوات من احتلالها اي في سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، واستمرت تحت حكمهم حتى سقوطها النهائي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م بيد النصارى في عهد دولة بني الأحمر، وبذلك انتهى الوجود الإسلامي في مدينة المرية، وأرغم المسلمون على النزوح عنها بعد حكم دام مدته ٨٠٣ سنة.

هوامش البحث

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٢.
(٢) صورة الأرض، ص ١١٠.
(٣) المسالك والممالك، ٥٣٧/٢.
(٤) الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٢٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٩.
(٥) سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٢٧.
(٦) ينظر التفاصيل: ابن حيان، المقتبس (٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م)، ص ٥٠-٥٣.
(٧) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ/٩١٢-٩٤١ م)، ص ١٨١.
(٨) سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ٣٧؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص ٥٦.
(٩) نزهة المشتاق، ٥٦٦/٢؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٨٠.
(١٠) الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٢٩.
(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٢/٢.
(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٦/٢.
(١٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٩/٢.
(١٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٣/٢.
(١٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢.
(١٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٨٠/٢.
(١٧) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٤.
(١٨) لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١-١٩.
(١٩) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٢-٢٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ١٦؛ الإحاطة، ١٩/١
(٢٠) نفح الطيب، ٢٥٩/١؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.
(٢١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢-١٠؛ المقري، نفح الطيب، ١٢/٣.
(٢٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ٩٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.
(٢٣) المراكشي، المعجب، ص ٦١؛ وينظر التفاصيل عن المرية في عهد العامريين: أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص ٧٥ -١٠٠؛ سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ٥٨-٧٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٥٨/٢-١٦٤.
(٢٤) المراكشي، المعجب، ص ٦١؛ وينظر التفاصيل عن المرية في عهد بني صمادح: أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص ١٠١-١٣٤؛ سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ٧٤-٨٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٦٤/٢-١٧٣.

(٢٥) نزهة المشتاق، ٥٦٢/٢.

(٢٦) ينظر التفاصيل عن الثوار في الشرق الأندلسي في نهاية المرابطين وبداية الموحدين: دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ٧٦-٩٤.

(٢٧) المراكشي، المعجب، ص ١٥٥.

(٢٨) أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢٣٤/١.

(٢٩) سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١١٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٤٦/٣.

(٣٠) فرحة الأنفس، ص ١٥.

(٣١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٦٤.

(٣٢) الأنيس المطرب، ص ٢٦٢؛ ينظر أيضاً المقري، نفح الطيب، ٤٦١/٤ وجعلها سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م.

(٣٣) أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢٣٥/١.

(٣٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٩٦.

(٣٥) هو أبو عبد أحمد بن عطية وزر الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ثم نقم عليه وقتله سنة ٥٥٢ هـ/١١٥٧ م، ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٩٦.

(٣٦) بروفنسال، مجموع رسائل موحدية، ص ٧٣-٨١؛ وينظر أيضاً عن استرجاع الموحدين للمرية: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٣-٥٤؛ المقري، نفح الطيب، ٤٦٣/٤.

(٣٧) نفح الطيب، ٤٦٣/٤.

(٣٨) نزهة المشتاق، ٥٦٣/٢.

(٣٩) تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ٩٩.

(٤٠) للمزيد من التفاصيل عن موقعة العقاب، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦-٤١٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٧٠/٢؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٤١٩ وما بعدها.

(٤١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٨/٢.

(٤٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨؛ المقري، نفح الطيب، ٤٦٤/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٢٦/٤.

(٤٣) ينظر عن مقتل ابن هود: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤١.

(٤٤) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٣؛ ينظر أيضا: المقري، نفح الطيب، ٤٦٤/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٠/٤.

(٤٥) العبر، ٣٩٥/٦.

(٤٦) المقري، نفح الطيب، ٤٦٤/٤.

(٤٧) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣١/٤؛ سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٠٢.

(٤٨) ينظر التفاصيل عن مهاجمة النصارى مدينة المرية: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٤٤، ٦٢؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢٩/٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٥/٥.

(٤٩) ينظر التفاصيل عن سقوط مالقة: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ٩٢-٩٤؛ المقري، نفح الطيب، ٥٢٠/٤-٥٢١؛ إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٢٥٨-٢٧٠.

(٥٠) ينظر التفاصيل عن سقوط ميناء المنكب بيد النصارى: المقري، نفح الطيب، ٥٢٣/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٢٤/٥.

(٥١) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٨٨-٩٠؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٣/٥-٢١٤.

(٥٢) ينظر التفاصيل عن سقوط مدينة بسطة: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٩٦-٩٨؛ إيرفنغ، أخبار سقوط غرناطة، ص ٣٤٩؛ الدرويش والعلياوي، مدينة بسطة الأندلسية من الفتح حتى السقوط، ص ١٢٧-١٤٤.

(٥٣) مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٩٨.

(٥٤) أخبار سقوط غرناطة، ص ٣٤٩.

(٥٥) نبذة العصر، ص ٩٩-١٠٠.

(٥٦) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٢٧/٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر الأولية:

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)

١- تحفة القادم، علق علية إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

٢- التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣- الحُلة السُيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط ٢، مصر ١٩٨٥ م.

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)

٤ - الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، دمشق، ٢٠١٥ م.

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)

٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ م.

- الاصطخري، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)

٦- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٦١ م.

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠ هـ/١٣١٠ م)

٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦ م)

٨- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ/٩١٢-٩٤١ م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩ م.

- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م).

٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

١٠- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م.

١١- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)

١٢- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.

- الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م).

١٣- الأندلس من اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخاثينتو بوتيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٨٠ م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م)

١٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢ م.

- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م)

١٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق ومراجعة. ج. س. كولان وإ-ليفي بروفنسال، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م؛ والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م.

- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)

١٦- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦ م.

- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

١٧- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧ م.

- مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٨٩٧ هـ/ ١٤٩١ م)

١٨- نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الدية، دار حسان، دمشق، ١٤٠٤ هـ.

- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م)

١٩- المعجب في تلخيص أخبار المُغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.

- المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).

٢٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م.

- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م)

٢١- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، البصرة ٢٠١٢ م.

ثانياً - المراجع الحديثة:

- أشباخ، يوسف

٢٢- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠ م.

- إيرفنغ، واشنطن

٢٣- أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هادي يحيى نصري، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢م.

- بروفنسال، إ. ليفي

٢٤- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كُتاب الدولة المؤمونية، الجزء العاشر، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ١٩٤١ م.

- الحجي، عبد الرحمن علي.

٢٥-التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧ هـ/ ٧١٠-١٤٩١ م) ط ١، بغداد، ١٩٧٦م.

- الدرويش، جاسم ياسين

٢٦-مدينة بسطة الأندلسية من الفتح حتى السقوط (٩٢-٨٩٥ هـ/٧١٠-١٤٨٩ م)، سلسلة رقم (٧)، دار تموز، دمشق، ٢٠٢٠ م.

- دندش، عصمت عبد اللطيف

٢٧- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- سالم، السيد عبد العزيز

٢٨- تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة الشباب، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

- عنان، محمد عبد الله

٢٩- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، جـ ٢، ٥، ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، جـ٣، ٤، ط ٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- أبو الفضل، محمد أحمد

٣٠- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٩٦ م.